

تفسير البحر المحيط

@ 256 @ وبحر الخمر ، ثم تشق الأنهار بعده) . ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى : { فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ { الآية . ولما كانت الجنة لا تشوق ، والروض لا يروق إلا بالماء الذي يقوم لها مقام الأرواح للأشباح ، ما كاد مجيء ذكرها إلا مشفوعاً بذكر الأنهار ، مقدماً هذا الوصف فيها على سائر الأوصاف . قال ابن عطية : نسب الجري إلى النهر ، وإنما يجري الماء وحده توسعاً وتجاوزاً ، كما قال تعالى : { وَاسْتَدْرَكَ الْقَرِيَّةَ { ، وكما قال الشاعر : % (نبئت أن النار بعدك أوقدت % . واستب بعدك يا كليب المجلس . %) .

انتهى كلامه . .

وناقض قوله هذا ما شرح به الأنهار قبله بنحو من خمسة أسطر قال : والأنهار المياه في مجاريها المتطاولة الواسعة ، انتهى كلامه . والألف واللام في الأنهار للجنس ، قال الزمخشري : أو يراد أنهارها ، فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة ، كقوله تعالى : { وَاشْتَدَّ عِلَّ الرَّاسُ شَيْباً { ، وهذا الذي ذكره الزمخشري ، وهو أن الألف واللام تكون عوضاً من الإضافة ، ليس مذهب البصريين ، بل شيء ذهب إليه الكوفيون ، وعليه خرج بعض الناس قوله تعالى : { مَّفْتَاحَةٌ لِّهُمُ الْبُوابُ { ، أي أبوابها . وأما البصريون فيتأولون هذا على غير هذا الوجه ويجعلون الضمير محذوفاً ، أي الأبواب منها ، ولو كانت الألف واللام عوضاً من الإضافة لما أتى بالضمير مع الألف واللام ، وقال الشاعر : % (قطوب رحيب الجيب منها رفيقة % . بجس الندامى بضة المتجرد . %) .

ويجوز أن تكون الألف واللام للعهد الثابت في الذهن من الأنهار الأربعة المذكورة في سورة القتال . وجاء هذا الجمع بصيغة جمع القلة إشارة إلى الأنهار الأربعة ، إن قلنا : إن الألف واللام فيها للعهد ، أو إشارة إلى أنهار الماء ، وهي أربعة أو خمسة ، في الصحيح . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذكر الجنة فقال : (نهران باطنان : الفرات والنيل ، ونهران ظاهران : سيحان وجحان) . وفي رواية سيحون وجيحون ، وعن أنس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن ماء الكوثر قال : (ذاك نهر أعطانيه الله تعالى ، يعني في الجنة ، ماؤه وأشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل) الحديث . وإن كانت أنهاراً كثيرة فيكون

ذلك من إجراء جمع القلة مجرى جمع الكثرة ، كما جاء العكس على جهة التوسع والمجاز
لاشتراكهما في الجمعية . .

{ كُـلِّـمَـا رُزِقُوا ° } ، تقدّم الكلام على كلما عند قوله تعالى : { كُـلِّـمَـا أَـضَـاء
لَهُـم } ، وبيننا كيفية التكرار فيها على خلاف ما يفهم أكثر الناس ، والأحسن في هذه
الجملة أن تكون مستأنفة لا موضع لها من الإعراب ، وأنه لما ذكر أن من آمن وعمل الصالحات